أخلاقية المعرفة العلمية -قراءة في الأزمة راهنا-

د. قوعيش جمال الدين
قسم الفلسفة/جامعة الجزائر2

مقدمة

أطهر ما يعتمل في قلب الإنسان حب المعرفة، وأقدس ما يملأ قلبه محبة الحقيقة. لذا فإن أعظم ما يسمو بالإنسان هو الإخلاص في حبه والانصراف إلى الحقيقة دون أي شيء سواها. كذلك فإن أي منهج، أو فكر، أو علم، أو مذهب، لا يسمو إلا بقدر إخلاصه للحقيقة. فإذا ادعى منهج ما أنه مالك الحقيقة وحده، أو أنه يستطيع، دون غيره، إيصالنا إليها، فمعنى ذلك أن إخلاصه للحقيقة إخلاص ظاهري، بل إخلاص مهزوز في عمقه. ومثل هذا الادعاء هو النخر الأولي الذي سيسبب تفتت المركب وغرقه، إن عاجلا أو آجلا. ذلك أن الحقيقة لا تقيد ولا تشرط. والإخلاص لها يعني المقدرة على الانفتاح على كل الأفكار والتواصل مع كل المناهج.

ذلكم هو المعيار الذي يمكن أننقيس به أصالة كل تجربة معرفية والذي أردنا أن نرى إلى العلم بمنظوره. فالأزمة الراهنة للعلم لا تحد باعتقادنا بما تسببه نتائج العلم التطبيقية من أذى للطبيعة وللإنسان ولا بالصعوبات التقنية والمادية التي تعاني منها الأبحاث، ولا بطغيان العلم التطبيقي التابع للمؤسسات، ولا حتى بالمسائل الشائكة التي تواجه العلماء في شتى الفروع، والتي تتطلب طرح نظريات جديدة، لا بل ومفاهيم وفلسفات جديدة. إنما الأزمة الراهنة للعلم هي أزمة أخلاقية-معرفية بجوهرها. فنحن لا يمكننا، إبستمولوجيا، فصل المعرفة عن الأخلاق، لأنه علينا دائما إقصاء أية فرصة لاختلاق حقيقة ذرائعية، واستبعاد أية إمكانية لتجيير المعرفة إلى خطة مسبقة الوضع. فمعرفة الحقيقة تتطلب، أخلاقيا، إخلاصا لا حدود له. كذا فإن المعرفة، بحد ذاتها، أخلاق وليست منهجا. فهي معرفة أخلاقية، من حيث إيمانها بانفتاح غير مشروط، وهي

أخلاق معرفية من حيث قدرتها على الحفاظ على هذا الإيمان وعلى تحقيقه.

لقد فقد العلم مفهوم الحقيقة، فأشرط المعرفة، منذ إعلانه أن لا حقيقة غير الحقيقة العلمية. لذا فقد كرس العلم منذ بداياته إخلاصا مشروطا، وبالتالي إخلاصامزيفا. وعليه، فإننا لا نستطيع إلا أن نحمله مسؤولية الأزمة البيئية الراهنة(وإن جزئيا)، هذا فضلا عن معضلات أخرى تحيق بنا، لعلأخطرها تراجع الشعور بالمسؤولية تجاه الحقيقة لصالح استنزاف القوى الطبيعية والبشرية في تيار الاتكالية والاستهلاك. بذلك، غدت الحقيقة العلمية تتمثل بالاختراعات الاستهلاكية، لا بل وبالقيم الاستهلاكية التي باتت تسود مدنيتنا المعاصرة. هكذا، قادنا العلم إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية، وثبت في لاوعينا صورة مشوهة عن المعرفة، ولم يهتم إلانادرا بطرح أسئلة تتعلق بمسؤوليات العالِم وبأخلاقيات العلم.

1- راهن العلم في أرقام

بادئ ذي بدء، لا مناص من عرض نتائج استفتاء هام قامت به مجلة البحث 'Recherche' الفرنسية. وتعطينا هذه النتائج صورة شاملة لمفهوم العلم ولنتائجه عند شريحة مثقفة من العلماء والأساتذة والأطباء والمطلعين على العلوم الحديثة والمتابعين لها. ولما كانت المجلة رصينة وجادة في موادها وأسلوبها، فقد رأينا في نشرها لهذا الاستفتاء وما تضمنه من أسئلة ونتائج وإشارة واضحة لشعور عام بالأزمة الراهنة للعلم بدأ يظهر وينتشر. ولعل أهم الأسئلة التي طرحت كان السؤال الذي يتعلق بجوهر عمل العالِم.

وقد رأى 57% أن العالِم شخص يعمل من أجل خير الإنسانية، بينما عارض ذلك 35% من المستفتين. ونلاحظ أن 57% لا تشكل نسبة راجحة بما فيه الكفاية، مما يعني أن عمل العالِم لا يشكل إطارا مقنعا ومطلقا، كما يمكن أن نظن. ومما يدعم رأينا أن سؤالا آخر يظهر أن 60% يرون أن العلماء يعملون إرضاء لفضولهم الخاص، وليس خدمة للإنسانية،

بينما لا يرى ذلك 27% فقط. وهذا يعكس تناقضا واقعيا بين ما يريده الناس من العالِم والصورة التي يرونه من خلالها، من جهة، وصورة العالِم وما يقوم به في الواقع، من جهة ثانية.'[1]

ومع أن الاستفتاء لم يشر، مثلا، في نمط أسئلته إلى تمييز صريح بين العالم المعرفي والعالِم التقني التطبيقي، إلا أن معاني بعض الأسئلة ونتائجها تشير بوضوح إلى أن سبب هذا التناقض في صورة العالِم كامن في عدم التفريق بين العالمين، عالِم المعرفة وعالِم الصناعة. ومن جهة أخرى، نجد أن 29% فقط يرون أن العلماء الذين ساهموا في اكتشاف القنبلة الذرية كانوا مسؤولين عن استخدامها، ويرفض ذلك 68%. والحق أن هذه النسبة متأثرة إلى حد كبير بالإعلام الغربي، لكنها مع ذلك تعكس واقعا لا يمكن تجاهله، وهو أن العامة ترفع العلماء إلى مصاف القديسين وتتقبل بسهولة الحجج التي تبررهم.

وعلينا أن نتذكر أنالمستفتين أفراد غربيون يرون في العلم وسيلة أساسية للسيطرة وللحفاظ على التفوق والقوة. وهذا السؤال لم يطرح أبدا في الاستفتاء، لكننا ندرك ذلك لأن هذا المفهوم الغربي للعلم بات شائعا في العالم كله.

لكننا نجد أن النسبة تنقلب تماما في سؤال آخر يحمل في جوهره معنى السؤال السابق نفسه، إذ أن 64% يؤيدون أن العلم نما بسرعة أكبر بكثير من الحس الأخلاقي عند الإنسان، بينما لا يوافق على ذلك 32%. وهكذا نرى أنالحس الأخلاقي لا يزال يلعب دورا أساسيا لدى الرأي العام. لكن النسبة الأقل غير الموافقة –32%– تشكل، بالمقابل، نسبة خطيرة لفقدان هذا الحس السليم. ولاشك أن هذه النسبة يمكن أن تكون أكبر بكثير في مجتمع نام ضمن شريحة واسعة من العامة. وفي سؤال حول ما إذا تمكن العلم خلال السنوات القادمة من اختيار جنس الجنين، ذكرا أم أنثى، رأى 72% منهم أن ذلك كريه وغير مرغوب فيه، بينما رأى 18% فقط

[1]-*Recherche, Revue scientifique, N° 51, PUF, Paris, p.128.*

أن ذلك "مقبول". لكنايمكن أن نتساءل، من جهة أخرى، ـأنه فيما لو توصل العلم فعلا إلى اختيار جنس الجنين، ألن يعمم ذلك كما تعمم اليوم كافة الإ نجازات التقنية؟ألن تستغل النفس الإنسانية أقبح استغلال في سبيل بناء مجد العلم، هذا المجد الذي بات يستمد من إخضاع الإنسان نفسيا لحقيقة زائفة؟

إن التناقض الذي لمسناه حول دور العالِم يتكرر بصورة أوضح في سؤال حول ما إذا توصل عالِم إلى اكتشاف يشكل خطرا على المجتمع، ماذا عليه أن يفعل؟فقد رأى 59% أن عليه إطلاع مساعديه وزملائه، ورأى 20% أن عليه أيضا إيصال الخبر إلى وسائل الإعلام والمجتمع، بينما رأى 7% فقط أن عليه متابعة عمله دون إطلاع أحد عليه. لكننا نجد أن هذه النسب تتغير على المستوى الواقعي. فقد رأى 37%(مقابل 79%) ـأنه سيطلع فعلا زملاءه على اكتشافه، بينما رأى 41%(مقابل 7%) ـأنه سيتم بحثه دون إخبار أحد. ويعكس هذا التفاوت في الإجابتين موقفا واضحا تجاه العلم الذي يجازف بالإنسان وبالطبيعة. ونجد هذا الموقف أكثر وضوحا في الإجماع الذي حققته إجابات السؤال التالي، والذي قد لا يخطر لنا ـأنه سيلقى مثل هذا التأييد، وخاصة من قراء "علميين" في إحدى دول الشمال المتقدمة صناعيا، وهو الآتي؛ هل ترون ـأنه بات من الضروري طرح قواعد سلوك تحد من النشاط العلمي فيما يخص بعض تطورات علم البيولوجيا حاليا؟ فكانت نسبة الموافقة 81% ونسبة المعارضة 17%.[1]

أفلا يشير هذا الإجماع إلى شعور ضمني بخطر العلم إذا لم يضبط في المستقبل القريب؟

غير أن هذا لا ينفي قيمة العلم وحاجة البشرية لابتكاراته، فنسبة كبيرة من القراء(63%) ترى أن المثقف يجب أن يكون على اطلاع على العلوم، وإلا ما عد مثقفا، بينما لم يوافق على ذلك 33%. بل إن الإيمان بالعلم كبير جدا. فقد رأى 88% من القراء أن العلم سيتمكن دائما من شق

[1] -*Recherche, Revue scientifique, N° 51, PUF, Paris, p.128. , p.130*

طريقه، ولن تقف في وجهه مسائل لن يستطيع حلها، أو ظواهر لن يستطيع تفسيرها. ولم يعارض ذلك سوى 6%. وهذا يكشف لنا بوضوح إلى أي حد بات الإنسان، وخاصة في دول الشمال، يؤله العلم ويجعل منه دينا له طقوسه ومعابده وكهنته.

لكن لنلاحظ أن هذا الإيمان شبه المطلق بالعلم هو في الحقيقة، على الصعيد النفسي، تعبير عن إرادة المعرفة والإخلاص لطريق يعتقد أنه الصحيح والأمثل. ومما يؤيد ذلك هو أن الحاجة الجسمية للعلاج والحاجة النفسية للمعرفة احتلتا المراتب الأولى من اهتمامات القراء بالعلوم، حيث جاءت الأبحاث الطبية بالمرتبة الأولى بنسبة 67%، وتلتها الأبحاث حول المادة (65%)، ثم الاكتشافات الكبرى والفضاء، بينما نالت الأبحاث التقنية العلمية أقل نسبة من الاهتمام، (44%). ومع ذلك، وكما كنا أشرنا، فإن هذا الشعور الطاغي باستمرارية العلم يشوبه قلق خفي. ففي سؤال حول إذا ما كانت زيادة تكاليف البحث ستشكل تهديدا للعلم أجاب 64% بالإيجاب ولم يعارض سوى 23%.

فضلا عن ذلك، نجد أن مفهوم العلم لم يعد ذلك المفهوم الصارم النهائي والمطلق، حتى عند نخبة من القراء العلميين. ذلك أن 34% منهم يعتقدون بـ"التخاطر"(أي التواصل ذهنيا)، و43% بإمكانية اكتشاف المياه الجوفية بواسطة العصي، و13% بالقدرة على تحريك الأشياء بقوة الإرادة دون لمسها. وفي حالة المرض، تبين أن 63% منهم يمكن أن يلجؤوا إلى المعالجة بالوخز بالإبر، و37% منهم إلى معالجة المرض بطريقة تقويم العمود الفقري يدويا، بينما رفض هذه الطريقة 38% ، وعبر 72% منهم عن قبولهم للاستطباب بالمياه المعدنية. وعلى الرغم من أن"الطب الكلاسيكي" حاز على أعلى نسبة من حيث اللجوء إليه (77%) ، إلا أن نسبة 22% لا تفضل الركون إليه في عدة حالات. بينما كان هناك شخص واحد من عدد المستفتين(4500 شخص) لا يلجأ إليه أبدا.[1]

[1] - *Recherche, Revue scientifique, N° 51, PUF, Paris, p.128. , p.130*

ويمكننا أن نلاحظ بسهولة أن أعلى نسب من الإجماع كانت تتعلق بالأخلاق العلمية، وبقيمة العلم كمعرفة. وفي خاتمة هذا الاستفتاء كان السؤال الكبير حول وجود الله. وبحسب هذه العينة من القراء(العلميين الغربيين) فإن وجود الله أكيد عند 18%، محتمل عند 16%، وغير محتمل عند 22% ، ومستبعد عند 28%، بينما لم يكن لـ 16% أي رأي في ذلك. وعدم وجود نسبة راجحة بين هذه النسب المتقاربة يعني أن النظرة العلمية لم تستطع تقديم شيء حول هذه النقطة، مما يجعلنا نطرح سؤالاضروريا وملحا؛ هل يتعلق الإيمان بوجود الله بالمنطق العلمي وبالمعرفة العلمية، أم أن الحقيقة الذاتية تظل أساس كل تصور فردي؟

2-المعرفة الطبيعية

إذا كان العلم قد وجد من أجل المعرفة، فهذا يعني أن معرفتنا الحقة تطورت تطورا ملموسا مع تقدم العلوم. لكن علينا أن نميز بين معرفتين؛ الأولى نظرية والثانية طبيعية. الأولى تبنى فكريا فقط، بينما تبنى الثانية على مستوى فيزيولوجي/نفسي عبر تطور طويل. ولاشك أن التأثير المتبادل بين المعرفتين يكون داعما إذا كان نموهما متساوقا؛ أما إذا اختل هذا التساوق فيجب عندها على المعرفة العقلية أن تضبط نتائج تطبيقاتها المباشرة لئلا يتحول التأثير إلى تدمير.

ففي الحالة الأولى تكون المعرفة نظرية، يمكن أن تطبق على مستوى الظاهرة الطبيعية؛ ويمكن باستمرار تطوير هذه النظرية لتعطينا وصفا أقرب إلى الدقة لطبيعة وجودنا. وفي كل الأحوال لا يمكن لهذه المعرفة أن تتغاضى لحظة عن السياق الطبيعي للتطور. لكن العلم استهتر بالمعرفة التطورية، وقام بتطبيق معارفه بشكل عشوائي. وأبسط انعكاسات ذلك علينا ما بدأنا نلاحظه من ضمور في قوانا الجسدية والمناعية، ومن شواش عقلي ونفسي، إضافة إلى تلوث البيئة وتدمير الطبيعة.

أما في الحالة الثانية فتكون المعرفة حالة يعيشها الإنسان بكل أبعادها، ويتقبلها تدريجيا عبر العصور، فتشد من مقدراته الجسمانية

والنفسية والعقلية. وباختصار فإن الإنسان يحقق بها الوعي الذي يناسب تطوره والمعرفة التي يحتاجها في عصره. ([1])

ولهذا،أمكن القول إن معارفنا الحقيقية لم تتقدم قيد أنملة منذ بدأ العلم مسيرته حتى الآن، إلا بقدر ما سمح بذلك التطور الطبيعي. وعلينا ألا ننسى أن البدايات العلمية الحقيقية كانت متساوقة مع التطور الطبيعي. أما إنجازات العلم واختراعاته فلا تقاس إلى الاكتشافات الرائعة التي تمت بتناغم عظيم مع التطور الطبيعي خلال عصور طويلة. بل يمكننا القول إن التخلخلات الطفيفة التي كان يسببها الإنسان في الطبيعة، والتي كانت الطبيعة ترممها خلال فترات معقولة، كانت في نهاية الأمر تساهم في رفع وتيرة التكامل الطبيعي بين الإنسان وبيئته. لقد استطاع الإنسان خلال العصور الحجرية القديمة أن يعيش ويستمر اعتمادا على أدوات جدبسيطة. وأدى هذا التطور خلال أكثر من مليون سنة إلى ظهور 'إنسان كرومانيون' الذي تميز بقدرات أكبر على التناغم مع الطبيعة. ([2])

ولا شك أن هذا الإنسان يعد حلقة في سلسلة تطور الإنسان نحو إنسان أكثر مقدرة على فهم الطبيعة والتناغم معها. وقد حقق 'إنسان كرومانيون' إنجازات رائعة بحق، فقد عرف الفنون، وراقب النجوم وبنى المراصد الحجرية، واكتشف الزراعة، ودجن العديد من النباتات والحبوب والحيوانات، وأنشأ أولى القرى، وشوى الفخار وصنع الآنية والأدوات منه ومن مواد طبيعية أخرى، ثم اخترع الحساب والتدوين وطور اللغة والكتابة، وتوصل، من بعد، إلى اختراع الأبجدية.

وهكذا، فقد طور هذا الإنسان، عبر آلاف السنين، الفنون والعمارة والأدوات والحرف. وقد اخترع أدوات عظيمة لا نزال ندين له بها حتى اليوم، كالإبرة والمعول والمحراث والعجلة والصابون والقلم والرق. في حين، أثبتت هذه الأدوات أهميتها عبر آلاف السنين، نجد أن اختراعاتنا

---

[1] - *Recherche, Revue scientifique, N° 51, PUF, Paris, p.128. , p.131*

[2]- القره داغي محي الدين، فقه القضايا الطبية المعاصرة، دراسة طبية مقارنة، دار البشائر، ط.2005،1م، ص. 48.

الحديثة أظهرت أذاها وخطرها خلال عقود قليلة. فهل ترانا نجرؤ على مقارنة إبداعاته العظيمة بأهم اختراعاتنا، حاجاته الطبيعية بحاجاتنا الاستهلاكية؟ لاشك أن الصابون مثلا، لا يقارن بمزيلات التعرق التي ساهمت في تخريب طبقة الأوزون، ولاشك أن المحراث لا يقارن إطلاقا بالقنبلة الذرية. ومع ذلك، لابد من الاعتراف بأن العلم قدم إنجازات هامة، لكنه، على المستوى الجوهري، أبعدنا كثيرا عن السياق الطبيعي.([1])

والأزمة الراهنة للعلم، بما هي موقف تاريخي، تتمثل في ضرورة اتخاذ قرار واع وحاسم فيما يتعلق بموقعنا من الطبيعة.

3- الأزمة أخلاقيا

لقد "أقصى" العلم منذ بدايته أية قيمة أخلاقية تقف في طريق تقدمه، فأجاز لنفسه بذلك استباحة كل قيمة إنسانية وطبيعية. وتجاهل أن كل معرفة حقة تتكامل مع الطبيعة ولا تتعارض معها. وهكذا فقد "أهمل" العلم ما يمكن أن تؤدي إليه تراكماته المعلوماتية من نتائج. ذلك أنه متجاهل أخلاقيا تجاه الحقيقة.

فمعرفة الذرة مثلا أدت إلى اصطناع القنبلة الذرية، ومع ذلك فهو يتملص من مسئوليته في إنجازها، ولنقس على ذلك جميع مبتكرات أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيماوية وما جاورها... بل قل إن ما خفي من نتائج علمية متراكمة، لم يكشف عن نتائجها المباشرة بعد، لهو أخطر بكثير مما نعلمه. كذلك، فإن العلم يتجه اليوم في بعض فروعه نحو مسائل تعتبر فاصلة في أخلاق الإنسان. وقد تم تجاوز مسألة الحمل الصناعي مثلا إلى مسائل أخطر بكثير. فالهندسة الجينية تؤرق الإنسان اليوم بأوهام رهيبة. ذلك أن الهدف العلمي في أبحاثها لم يعد معرفة البنية المعلوماتية عند الكائنات الحية، بل التدخل فيها بشكل مباشر وإجراء التجارب عليها

[1]- القره داغي محي الدين، فقه القضايا الطبية المعاصرة، المرجع السابق، ص.49

واستنباط كائنات جديدة، ناهيك عن أخطار عمليات الاستنساخ الذي صار الشغل الشاغل للكثيرين منذ إعلان ولادة أول حيوان لها في العالم[1]

إنه تحول مروع دون شك، تحول لا يهدف إلى المعرفة، بل إلى التدخل في سياق التطور الطبيعي؛ أي إلى التدخل غير المسؤول في سياق التطور المعرفي الطبيعي. إن ما يعرض على وسائل الإعلام الثقيلة أحيانا من مشاهد لكائنات تم التدخل في مورثاتها يعد دعما خفيا لهذه الأبحاث، بحيث يصير تقبلها عند إعلانه سهلا لدى العامة.[2]

غير أن أحدا لم يجرؤ على طرح السؤال الحقيقي: ما الذي نريد معرفته، ما الذي نبتغي الوصول إليه عن طريق العلم؟ هل نتعلم لنتدخل، أم لنعرف ولنعي موقفنا ومسؤولياتنا؟ هل التعلم تدخل أعمى أم وعي متبصر؟

لقد فقدنا بالتأكيد حكمة ذلك العجوز الذي كان يزرع غرسة الزيتون لأبنائه. فنحن نريد أن نأكل من ثمار لم تنضج بعد، بل وفي بعض الأحيان، حتى قبل أن نزرع غراسها. إنا نتناسى أنه من المنطق العلمي، عند اكتشاف دواء جديد، أن يجرب قبل تعميمه. فما بالنا باكتشافات عظيمة تتعلق مثلا بطبيعة المادة أو ببنية الكائن الحي. أفلا يجب أن يكون ثمة رادع علمي/أخلاقي لا يجيز تطبيق أي معرفة قبل مرور وقت كافٍ من دراستها واختبارها؟ ذلكم هو الموقف الأخلاقي الذي على العلم أن يتخذ بشأنه قرارا حاسما الآن وليس غدا.

خاتمة

إن حب المعرفة هو الذي يبعث في الإنسان الإيمان بعلاقته الجوهرية والكلية مع كل ما في الوجود وبالحقيقة المتضمنة والمتجلية فيه. ولولا حب المعرفة الذي لم ينفك ينمو فيه عبر العصور ليجعل منه كائنا

1- هارسناي زولت، هنون ريتشارد، التنبؤ الوراثي، ترجمة مصطفى ابراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، 1988م، ص.8.72- المرجع نفسه، ص.73.
2-- المرجع نفسه، ص.73.

أكثر وعيا لوحدته مع الطبيعة والكائنات، لكان الألم يتأكل قلب الإنسان الفارغ، لأن شعورنا بالوحشة وبالعزلة كان سيسيطر عليه، ولكان صراعه مع "حيوانيته" سينتهي إلى انكفائه على نفسه في دائرة مغلقة لا سبيل إلى الفكاك منها ولا إلى الانفتاح والتطور فيها.

لكن دراستنا لظهور الإنسان ولتطوره على الصعيدين الفيزيولوجي والنفسي، بل ولتفتح وعيه منذ ملايين السنين ولتطور مقدرته العقلية على طرح الأسئلة والإجابة عليها، تقدم لنا برهانا حاسما على أن إمكانية الانغلاق تلك لم تكن واردة أبدا. فالتطور كان يقود باتجاه وحيد كافة الإمكانات الظاهرة والباطنة؛ وهذا التطور هو الوجه الآخر لذلك الشعور بالوحدة مع الكون. إن الحياة الواحدة هي مبعث حب المعرفة فينا، إنها في الجوهر حب الحياة والوجود الذي يتجلى على مستوى الطبيعة بالتناغم والتفتح وعلى مستوى الإنسان بالفهم والوعي.

إن أطهر ما يعتمل في قلب الإنسان حب المعرفة، وأقدس ما يملأ قلبه محبة الحقيقة. وما محبة الحقيقة إلا الإيمان نفسه بالوحدة معها، لأنه الإيمان بمحبة الحقيقة نفسها الفاعلة فيه وفي الكون. كذا فإن هذا الإيمان يريه نفسه في كل ذرة ومجرة، وفي كل رعشة وهمسة، وفي كل لون وصوت وكيان وإنسان. إن محبة الحقيقة هي مركب الإنسان ومهمازه، ودربه ووسيلته، ومعياره ودافعه... ذلك أن الحقيقة أرفع من أي تصور أو تفسير أو علم أو نظرية، وذلك أن الحقيقة أسمى من أي مذهب أو عقيدة أو طريقة، وذلك أن الحقيقة لا تحد بشكل أو منظور؛ ولهذا فمحبة الحقيقة بذاتها تمثل أعلى درجات الحرية وأرفع مراتب الوعي.